حزب البعث العربي الإشتراكي

القيادة القومية

مدرسة الإعداد الحزبي

أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة



في الكَسب الحزبي

مَن نُنَظّم وكَيف ؟

بقلم الرفيق الشهيد

صدام حسين



منشورات الطليعة تونس 2000

حزب البعث العربي الاشتراكي

امة عربية واحدة
ذات رسالة خالدة



في الكسب الحزبي

من ننظّم؟
وكيف!؟

بسم الله الرحمن الرحيم

من ننظم؟ وكيف؟!

منذ بداية الخليقة، وجد الانسان نفسه بحاجة لينظم حياته، ويرص صفه مع، أو بصفوف، آخرين من جنسه، ليواجه، ابتداء، صور فعل الطبيعة، حيثما كانت قدراتها متفوقة على الانسان الفرد، ويواجه حشود الحيوان، الذي غالباً ما يكون أكثر من مفرد، عند التعرض للانسان.

ومع مرور الزمن، وزيادة أعداد سكان الارض عن خط بدايتها، ومع ميل الانسان النسبي الى الاستقرار، تطورت رغبته في أن يكون ضمن محميات، تتسع كل محمية، كمسرح، لحاجات ونشاطات المجموعة الانسانية المعنية، التي هو جزء منها، والتي كانت عند خط بدايتها تضم أبناء الأب، أو الجد الواحد، غالباً.. وهكذا كانت البدايات البسيطة لحاجة الانسان الى التنظيم، بمعنى (التكتل)، وحشد الامكانات البدائية لمواجهة تجاوزات الحيوان، وتوفير قدرة للتعامل مع الطبيعة، ابتداء، ثم لحماية حمى المجاميع البشرية في محمياتها الاولى، ضد اطماع وتجاوزات آخرين من بني البشر.. ثم تطور التنظيم، وأهميته في حياة الناس، مع تطور الحياة، وزيادة الوعي بأهمية الاستقرار والوطن، وأهمية كل ذلك في حياة الانسان.

وعندما نشأت الدولة، نشأت، ابتداء، على قاعدة الوطن الواحد، الذي يخلف، ويضم مجرد محميات الجماعة الموزعة على الارض، التي غالباً ما كانت تتوسع بالقوة، وتتقلص بتقلصها، ليتطور الشكل الجديد عن مكان له حدود متناسبة مع القدرة والحاجة، ولكنها، نسبياً، لا تتوسع لمجرد توفر القوة الاضافية، أو تتقلص لمجرد تقلص القوة، كنوع من التبعية الحتمية، أو أن تستبدل بغيرها، عندما تحيط بها المخاطر، أو عندما تنشأ رغبة مجردة لتبديل المكان بمكان (أفضل غيره)، من حيث القياس على المفردات، أو الظواهر المادية، التي كان الانسان يستند اليها في تبديل محميته، ومكان عيشه، كأن يكون للبديل هواؤه الاكثر حرارة، أو أقل برودة، أو ان تكون مياهه أوفر، أو نوع أرضه مختلفا، أو ان الحيوانات البريّة فيه أكثر أو أقل، مثلما كان هذا هو قياس الاستقرار النسبي في المحميات الانسانية في بداية تكوّنها، وانما دخلت الجوانب الاعتبارية لتكوّن الوزن الأساس في الوطن، ومنها التأريخ المشترك وذكرياته، وحتى رفات الاهل والاحبة، وذكريات الحياة، بما في ذلك علاقة الانسان بالاخرين، في زمنها الممتد من الطفولة، حتى آخر مراحلها الدنيوية.

وعندما استمكنت أهمية استقرار حدود المحميات المتضامنة، التي يوحدها تفاعل عوامل الوحدة، التي تنتظم على أساس زيادة القدرة والاستقرار، نشأت الحاجة الى من ينظم القدرة، ويستنهض الهمة. ولذلك سبقت القيادة والتنظيم نشأة الدولة، بل، لولاهما ما نشأت الدولة:

وعندما نشأت الصور الاولى لحدود معروفة للمحميات المعنية، مفردة او متضامنة، في المكان، ومع ممارسة الناس ضمن الحدود العامة، لدورهم الجمعي فيها، تحولت المحميات المتكتلة الى شعب داخل وطن.

ومع تطور الحياة ومفرداتها، والمهام وتشعباتها، نشأت الحاجة الى الحكومة.

ومع نشأة الحكومة، كمحصل لنضج الفعل القيادي، الذي قاد حشد العمل المنظم، ليضع علامات الحدود والاستقرار ضمنها، استكملت الدولة شروطها المعروفة وفق الفقه الدستوري، ومرتكزاتها التي لابد منها، لتستقر، وتوصف بالنضوج النسبي، على قياس مرحلتها، وهكذا صار الوطن، والشعب، والحكومة المرتكزات الاساسية للدولة.

ولنعد الى موضوعنا فنقول ان التنظيم لحشد القدرة، وتصويب الفعل الجمعي هما اللذان انتجا الدولة، ومن غير التنظيم ما كانت الدول لتستقر، وتديم شؤونها، فكانت الحكومات هي الصيغة الناضجة في الدولة، التي ولدت عن التنظيم، وبقدر ما تكون الحكومات ممثلة لارادة وتطلعات القدرة الناضجة للشعب، وهواجس ضميره الحي، تكون مشروعيتها ثابتة وراسخة، وتفقد منها كلما ابتعدت في قدرتها، واتجاهات، ونوع فعلها عن تطلعات القدرة الناضجة، والارادة المستندة الى الحق، وهواجس الضمير الحي، الوطنية والقومية المؤمنة للشعب.

ومع تطورها، نضجت فكرة اسناد شرعية الحكومة وفاعليتها بالحشد المتجه الى أهدافه، في تعبئة الامكانات وقدرة تشغيلها، فصار التنظيم حالة لا مفك منها، لتستقر الحكومة ومؤسساتها على قاعدة ممارسة دورها، ومنها حماية نفسها وحماية الوطن.

ومثلما سبق الفعل المقاتل تكوين الدولة، فقد استمر في الدولة، معبراً عن أهمية فعله الجمعي بالجيوش النظامية، التي تزودها الدولة بما تحتاجه من مستلزمات، مستخدمة، ومستفيدة من كل القدرات والامكانات الوطنية للشعب والامة، وبما يجود به الوطن بفعل أبنائه

من ثروة، ونظمت، بفعل تطور الدولة، وحاجات الحكومة الى ما يحميها، سواء كانت على حق او على باطل، أجهزة مختصة في الامن الداخلي، وعينا لها على عدوها في الخارج، وفي ميادين القتال، نشأت الحاجة الى الاستخبارات العسكرية، كعين لها في ميادين الصراع المسلح، وجانب من حساباته المسبقة، ونشأت اجهزة المخابرات، لتكون عينها على التفكير المسبق للدول الاخرى، وفعل الخارج تجاهها، اساسا، وعلى رعايا الدول الاجنبية، وجواسيسها من الاجانب داخل الوطن، أو ممن يخونون شعبهم وأمتهم ليتواصلوا، ويتخابروا مع اجهزة الدول الاجنبية..

وبالمناسبة، فقد سبق العرب العالم أجمع في الفعل القيادي المنظم، الذي نشأت عنه الدولة.. فكان العراق، ومصر، من بعده، السبّاقين في هذا، وفي نشأة الحكومة وأجهزتها، من جيوش نظامية، وأجهزة مختصة ووزارة..

وعندما تكون امكانات وقدرات الحكومة منظمة، تكون لديها القدرة على تحريك من يطيعها من الجيوش، واجهزة الاختصاص الاخرى، ولكن عندما ينشأ افتراق بين ارادة الشعب والامة وارادة الحكومة، وبين قدرة الشعب وفعل الحكومة، وخاصة اذا لم تصححه الحكومة بما يجعله منسجماً مع قدرات الشعب، وارادته، وتطلعاته الوطنية والقومية، وعندما يغدو الأفتراق غير قابل للحل الّا بالأرغام، ومن طرق الارغام الثورة، يكون التنظيم للقدرة والامكانات، وحشدها، وحشد الهمة، بعد خلقها خلقا، حالة لابد منها، والا، لا تحتل ارادة الشعب موقعها وتأثيرها الجمعيين، اللذين لن يجدا من ينصت اليهما في الحكومة، بعد أن تكون ارادة الحكومة قد تضاءلت، أمام ضغط قوى أجنبية، على حساب ما هو وطني وقومي، من مصالح، وأمنيات، وتطلعات، بسبب افتراقها، وعدم تفاعلها مع قدرات، وهمة، وتطلعات الشعب والامة، أو بعدما يكون ضميرها في التحسس بتأثير الرأي الجمعي لهما، للشعب والامة، قد مات، أو ضعف، الى حد فقدان قدرة مجساته في التحسس، عن بعد أو قرب، لقيم الشعب والامة العليا.

وعندما يكون الفعل الجمعي ضرورياً لأي واجب أو مهمة، ليصبحا ممكنين، سواء في الحياة السلمية الاعتيادية، أو في الحياة الثورية، هجوما على، اودفاعا عن النفس ضد الانظمة الفاسدة، والتابعة لاجنبي، أو العميلة له، يأخذ الفعل المنظم، والانضباط الجمعي، شكل وقيمة القيمة المقدسة، التي لابد منها، ليصبح الهدف، أو الاهداف، ممكنة.

وهكذا يفهم جانب من المعنى الذي يؤكد عليه حزب البعث العربي الاشتراكي، وثورة الشعب والامة في العراق المجاهد، بالقول ان حزب البعث، على قياس اهدافه النبيلة، في الوحدة والحرية والاشتراكية، ليس مجرد وسيلة، كأي وسيلة، توصل الى هدف أو غاية، وانما هو وسيلة ذات قدسية خاصة، تأخذ لونها ومعناها من طبيعة ما مطلوب منها انجازه، من اهداف في وحدة العرب الكبرى، وفي اقامة مجتمع العدل، والفعل الجمعي، الذي يرتقي بالامة، ويفتح فرصتها، لتمارس دورها العظيم، بما يرضي الله، ويجعلها محج المؤمنين، والمناضلين من كل الخيرين في العالم، عندما تعاود ممارسة دورها الحضاري الانساني، والقومي العظيم..

لذلك، فان البعث وغاياته، حالة واحدة، وليسا حالتين منفصلتين.

وعندما يكون تنظيم الفعل والامكانات لابد منه، لتزاح الانظمة، التي تفترق ارادتها، بتواتر، وتراجع لا عودة عنه، من جانبها، عن ارادة الشعب والامة... وعندما يكون التنظيم لابد منه، ليس لحشد ما هو متيسر من القدرات والامكانات فحسب، وانما لخلق الهمة، والارتقاء بها اعلى فأعلى، حتى يصمّ هتافها بالحق، وضرباتها، وانفجارات فعلها آذان الظالمين، وتفقأ عيونهم، وتزلزل كراسيهم القائمة على فساد، وتقوّض حكمهم البغيض، الخائن لارادة الشعب، وقيم الوطنية الصادقة الامينة، والقومية المؤمنة الشريفة، في دولة قائمة على العدل والانصاف، فأن الواجب لابد منه لخلق التنظيم الذي بدونه لا تتحقق هذه الاهداف.

ولكي يخلق التنظيم، ينبغي ان يبرز الى الميدان من يبرز منتخيا امينا، مؤمنا، وطنيا، صادقا، متحمسا لامته المجيدة، لينظم نفسه في ميدانها الثوري، وينظم غيره.

ومن هنا، وبعد ان يبرز الى الساحة فعل اول متطوع صادق امين الى التنظيم، يشتد التساؤل الحاحا: من ننظم؟ وكيف ننظم؟.. اي: من نختار ليكون رفيق دربنا المشرف، وكيف نختاره، بعد ان نؤثر فيه، ونقنعه بأهمية ممارسة واجباته الوطنية والقومية والاخلاقية، وفق اطار جمعي منظم، لان الفعل الفردي لا يقوى على ما يقوى عليه الفعل الجمعي من تأثير، وليس هو بقادر على ان يجعل التضحيات اقل، والخطوات راسخة، واثقة، مصوبة على طريقها، ومثاباته، ولا هو قادر على ان يستنهض الموجود من الهمم، اويخلقها خلقا نوعيا، عاليا بحكم التفاعل، لتتقدم الى امام. //

اذن.. من ننظم؟ وكيف؟

ابتداء، لابد من القول ان قدرة التأثير على الاخرين واقناعهم بالفعل الجمعي المنظم، تأخذ معناها من ايمان القائد البعثي في ميدانها. فبقدر ايمان من يبرز الى ساحتها، تكون صفات، وفعل النموذج، وعلى أساس تأثير النموذج، وايمانه المتفجر حماسة ومعنى، يتلمس المقابل صدق المبادىء التي يحملها.

ولكن، ولانه بعد ان يكون هو من ينظِّم الاخرين، لينتموا الى صفوف حزبه، قائدا في المجتمع، ولان القائد ينبغي ان يتميز على من يقودهم، ولان الانتماء الى حزب البعث العربي الاشتراكي لا يقصد به تكتيل الامكانات المادية البشرية، وغير البشرية، فحسب، وانما خلق القدرات بمعناها الواسع، وخلق الامكانات من غير المتيسر، وجعلها زاد الطريق وعدته، لاستكشاف مسالكه الوعرة او الميسّرة، والتعامل معها بنجاح، فان المناضل في حزب البعث العربي الاشتراكي يجب ان يكون واعيا في التأمل على مساحة مسؤوليته، وفي الاطلاع، حيثما استطاع، على شؤون الحياة ومفرداتها.

ان الوعي، لكي يكون شموليا في رؤية ليس ما هو ملموس ومرئي فحسب، وانما قياس ما هو غير ذلك على الملموس والمرئي في حياة ومحيط الانسان ايضا، لا يكفي فيه (الوعي الفطري)، وقدرة التعامل على اساسه، وانما لكي يكون المناضل البعثي قائدا في مجتمعه، ابتداء من واجب ودور المنظِّم للاخرين، لابد ان يحمل صفة التميّز على من ينظمهم، او ان يكون بمستواهم، في الثقافة العامة، في الاقل، لتعاونه في ما تعينه فيه، ومن بين اهم ما ينبغي ان يتميز به **هو القدرة على خلق، والتقاط الامثلة العملية، التي يستعين بها، ليقرب صورة ما هو نظري من نظريته البعثية، وطريقة، وزاوية التناول الاكثر تأثيرا، ليس عقليا وفكريا فحسب، وانما نفسيا بخطوة تسبق ذلك.**

اذن، **ان اول ما ينبغي ان يدركه المجاهد المنظِّم هو ان يكون بمستوى من التفكير والتصرف، من شانه ان يؤثر ايجابيا على المقابل، الذي يراد التاثير فيه لكسبه رفيق درب، بعد ان يصير نصيرا لحزبنا العظيم، ليكون ضمن برنامج مدروس يختبر على اساسه، ومن اهم شروط هذا البرنامج، بعد السلوك والاخلاق الحسنة، هو الوعي، والثقافة المؤثرة، وعندها تكون الثقافة البعثية، كطليعة للثقافة العامة، امضى سلاح في مواجهة الاعداء، واطيب وسيلة تأثير في نفوس ابناء الشعب، واصدقاء البعث، لتحويل المهيأ منهم الى صفوف الفعل الجمعي المنظم.**

ولقد استعان الانبياء، والرسل بالعمل المنظم سريا، او علنيا، ليحققوا الوصول، وفق دورهم المرسوم، الى اهدافهم، متكلين على الله..

ولعل خير شاهد على اسبقية السلوك، والفعل الحسن للتأثير في الوسط، وجعله متلائما، او متفاعلا ايجابيا، مع الدعوة الجديدة، هو ان خاصية سلوك الانبياء والرسل، غالبا ما كانت تسبق، في تأثيرها، الدعوات الفكرية لرسالاتهم.

وعلى هذا الاساس، فان صفتي (**الصادق والامين**) سبقتا في تأثيرهما، بل وكانتا الاساس والتمهيد اللذين لابد منهما لكي يستند اليهما تأثير الحكمة..

وهكذا، فبصفتي (**الصادق الامين**) اللتين عرف بهما الرسول محمد (ص)، قبل ان يصبح رسولا للانسانية، وقائدا للعرب، قبلت قبائل قريش، وبطونها المختلفة، حكمة وحكم محمد بن عبد الله (ص)، بعد ان كانت له اسبقية دخول الكعبة، لرفع الحجر الاسود الى مكانه في الكعبة، في القصة المشهورة، يوم أتى برداء، ووضع الحجر الاسود عليه، وطلب من ممثلي قبائل قريش المختلفة ان يمسك كل منهم بطرف، او جانب، من الثوب، ويرفعونه معا الى اعلى ليتناوله منهم، ويضعه في مكانه، ومنذ ذلك الوقت، ابتدأت بدايات المكانة القيادية المؤثرة «لمحمد الصادق الامين (ص)» داخل قريش.

لذلك، فأن البعثي ينبغي، بل ويجب، ان يهتم، ابتداء، بحسن سلوكه في وسطه، كتوطئة وتمهيد لان يكون فكره الواعي، وثقافته البعثية، مؤثرين في اقناع من يتولى اقناعه ليكون مناضلا تحت راية البعث العظيم، وان السلوك المطلوب ان يرعاه البعثي هو السلوك الذي يعتبره غالبية القوم يمثل ثقل ضميرهم الحي، وموقفهم المستقر فيه، في الوقت الذي يؤمن، ويدعو البعثي الى قيم البعث العظيم.

وعلى اساس هذه الصورة والتصور، اهتم رواد البعث الاوائل بالاخلاق الفاضلة، وقياساتها البعثية، قبل ان يهتموا بالقدرات، او الامكانات الجاهزة...

وهكذا نفضل الصادق الامين على مجرد صاحب

الامكانية الفنيّة المجردة في التعامل، وتحمّل مواجهة الصعوبات المرئية ...

وعلى هذا، لا يتكون البعث على المفردات الجاهزة في المجتمع، أساساً، من شجاعة متميزة على الاخرين، او قدرة ثقافية عامة، ووعي متميزين على اخرين، فحسب، وانما يتكون لانه عملية خلق عظيم في الامة، وولادة صحية اصيلة ومباركة من رحمها، ويبني تنظيمه على عملية الخلق الثورية والمبدئية، وتناميها في المجاهدين البعثيين، بعد ان يكونوا ملتزمين التزاما مصيريا بمباديء الامة واخلاقها، **ولكن، ولان البعث قائد الامة، على طريق انجاز وحدتها الكبرى، وغدها السعيد المشرق، فان واجبه ليس تنظيم وحشد القدرات الجاهزة، كما قلنا، وانما خلق القدرات، والهمة العالية، والانتخاء الوطني والقومي الاصيلين، وحشدهما في اعلى مستوى من التأثير لتتحقق اهداف الامة في الوحدة والحرية والاشتراكية**، وليس من سبيل لهذا الا التنظيم القائم على تسلسل، تتضح فيه قياداته المسؤولة عند قاعدة هرمها، وحتى سفوحه، او اركانه العليا، وصولا الى رأس الهرم فيه..

ولكي نكسب الجديد الاضافي بصورة مستمرة، فان القواعد الثابتة في المباديء التي ذكرناها، لا تلغي ان يكون المنظِّم منتقيا، في وسطه، للناس، الذين يخمن، بخبرته القيادية الممتحنة عبر الزمن والممارسة، انهم يتقدمون على غيرهم في امكانية التفاعل مع مباديء الحزب، وتبنيها تبنيا مصيريا في نهاية المطاف، وليس مجرد القبول المؤقت، او الظرفي بها، تحت عوامل ظرفية...

صحيح ان العوامل، والمشاهد، والحالات، والظواهر الظرفية غالبا ما تكون مدخلا عمليا مفيدا لاجتذاب كثيرين الى التنظيم من الساخطين على الانظمة، او المقتنعين بفعل وموقف البعث، ولكن هنالك فرقا بين ان تكون الحالات الظرفية، أو المؤقتة، هي ومفرداتها، مدخل صلة وتفاعل مع الوسط المعني، لكسب من يراد كسبه، وبين من نكسبه ويكون قد جاء ليرتبط بالحزب وهو يحمل نفسا قصيرا، يقوم التزامه، بموجبه، على مجرد مواجهة حالة، او مفردة ظرفية، والتضامن مع البعثيين على هذا الاساس، لينتهي، بعد ذلك موقفه والتزامه، بانتهائها، أو عندما تصبح مجرد ظاهرة، أو مفردة من تاريخ التزامه وحماسته الجمعية، ويغدو مجرد عتلة في الحزب، وليس جزءا من خلية فعّالة فيه، اذا مابقي ارتباطه، اوينهي ارتباطه لمجرد انتهاء الحالة الظرفية، وبذلك، وبسبب عدم دقة الاختيار، تزداد، وتتسع ظاهرة التسرب للمنتظمين في الحزب، الى خارجه، تاركين صفوفه، بعد ان يطول زمن النضال، اوتتغير مواصفات ومراحل النضال والظرف... وبذلك، لايفقد الحزب، في هذا، جزءا من قدراته وأسراره الخارجة من بين صفوفه فحسب، وانما جزءا من قدراته المنشغلة بهذا ايضا، ويغدو الحزب، عند ذلك، وكأنه قطار مسافرين، لايبقى فيه في آخر محطة، الا قاطع التذاكر، وموجه حركته، وليس حركة فعل ثوري، تزداد فيه القدرات، وتتعاظم الامكانات لتنجز اهدافها، كلما قطعت شوطا في الزمن، وفي برامج الفعل الثوري... **لذلك، فان الانتقاء وقياساته، لكسب من يصلح لينظم الى صفوف البعث منظماً، منضبطا انضباطا جديا، واجب قيادي مسؤول، وليس اختيارا من بين اختيارات.**

ان الكسب الفردي، اي كسب كل واحد من المواطنين، يجب ان يكون على اساس خواصه، ضمن قياسات العرف البعثي للخواص، بوجه عام، مع مراعاة خصوصية كل وسط، **فالجيش وسط يختلف عن وسط المحامين، وهذا الاخير يختلف عن وسط الاطباء، او العمال، او الفلاحين.. وزهرة الكسب الجميلة، وبذرته ذات الخواص الاعلى لتتلاءم، ومن ثم تتفاعل بعمق عظيم، وسيفه البتار، هم شباب الامة والشعب، وفي مقدمتهم الطلاب في كل مراحلهم الدراسية**، ذلك لانهم، كشباب بعامة، وكوسط طلاب بخاصة، يختلفون عن اوساط غيرهم ممن ذكرنا.. وكلما كان كسبهم في اعمار سن البلوغ الاولى، اونحو ذلك، كان افضل.. **كما ان وسط الكسب الحزبي بين صفوف النساء يختلف عن وسط الرجال، ويستوجب الحال لاي منهما خواص وشروط الوسط المعني، الى جانب الخواص والشروط العامة،** التي لابد منها لاي كسب الى جانب البعث..

لذلك فان المناضل البعثي، لكي يكسب غيره رفيقا واخا الى جانبه، في مسيرة الشرف، يجب ان يكون قائداً: احساسا، وقدرة تأثير، وقدرة اختيار البدائل، في طريقة الاقتراب والتأثير، ليغدو المعني مقتنعا بأهمية ان يكون ضمن صفوف البعثيين، مجاهدا، ومناضلا مجيدا من اجل امته وشعبه..

ولذلك ايضا، ولكي يكسب البعثي من ينتقيه من ميدانه المقصود، عليه ان يكوّن صورة واضحة الى

حد التفاصيل عن الوسط الذي يقصد التحرك فيه، او عليه، ومن ذلك، ان يعرف اسماء ابناء ذلك الوسط، ابتداء، وانواع اعمالهم، ومهنهم، وكم فرد في كل عائلة، والاكثر تأثيرا فيهم، سواء في الوسط الاعم، او في العائلة، وقد يعرف من خلال التواصل معهم، حتى جانبا من حياتهم العائلية، على ان تحصل مثل هذه المعرفة بصورة غير مباشرة، لحساسيتها...

وان يتجنب البعثي ان يرمي نفسه، حالة ثقيلة او سمجة، على، او في، محيط من يستهدف كسبه، لان الانطباع الاول للانسان عن الانسان الاخر يلعب دورا مؤثرا جدا في موقفه تجاهه، وتجاه مايحمله من افكار، او مواقف لفترة طويلة نسبيا.. وقد يكون انطباع من لاتتهيأ له فرصة التعايش، بعد ذلك، مع ذلك الانسان انطباعا نهائيا، وتلعب في تكوين هذا الانطباع طريقة الاقتراب، وحسن، أو سوء، السلوك، والحكمة او التهور، وحسن اختيار مناسبة الاقتراب، وحسن اختيار موضوعات التواصل... وبواسطة التواصل، يتمكن البعثي من جمع المعلومات التي يحتاجها عن وسطه، ويدرسها حالة فحالة، وبعد أن يكوّن صورة أو فكرة عن كل مفردات حياة الوسط المعني، وطبيعة شخصية كل انسان، تلك الشخصية المولودة عن كل هذا، يسأل نفسه، ويجيب بصدق وامانة البعثي، المعروف بأمانته وصدقه: هل ان هذا الذي ينوي كسبه للحزب يصلح ان يكون مشروع بعثي، اي انسانا وطنيا وقوميا في صفاته العامة، وجديا وصادقا وامينا، وثابتا بعد ان يقتنع بما يقتنع به، أم انه متذبذب؟ وهل هو مقدام في شخصيته، أم متردد؟ وهل هو ذو جذر حقيقي في حياته وفي مجتمعه، أم مجرد طفح في جلد المجتمع، يؤذيه، ولايفيده بشيء؟ وهل هو ثرثار، أم متوازن؟ وهل هو متكلم لبق، وليس ثرثارا؟ وهل هو منطو، أم ان احجامه عن الكلام، وابتعاده احيانا عن بعض المشاركات في الكلام، أو الفعاليات، مجرد محاولة منه لجعل ذاته محترمة اكثر في وسطها؟.

وفي كل الاحوال، ينبغي ان تسأل النفس سؤالا حاسما: هل انه يصلح لان يتطور كبعثي ملتزم، منضبط، مناضل، في صفوف البعث، يحمل على كاهله، وفي عقله وضميره، مبادىء البعث، وقيمه العظيمة، وهموم امته وشعبه، ام لا؟.. وهل انه، بانتمائه، وبمعرفة الاخرين بذلك الانتماء، يضيف للبعث ثقل سمعة طيبة بسبب نوع شخصيته، وخلقه، وسلوكه، وسمعته، ويعتبر ميزة في صفوف البعث، ام انه سيكون مثلبة فيه، وسبّة عليه؟..

وفي كل الاحوال ايضا، فان الاستعداد للتحوّل من حال الى حال هو قياس قبول انتماء من ينتمي الى صفوف البعث، وهو القياس الحاسم لقبول من يقبل لاحقا، عضوا بعثيا في البعث العظيم، ويقصد بالتحوّل، هنا، من مجرد **مواطن في مجتمع يقوم بواجب تقليدي طلبا للعيش، او علم ومعرفة فحسب، الى ثائر، أو مناضل في صفوف طليعة الامة والشعب، هدفه الاساس هو الارتفاع بمستوى الشعب والامة، وطريقه البعث، ووسيلته: النضال الصادق العنيد من اجل الحق ضد الباطل.**

ايها الرفاق...

ايها الاخوة العرب..

ان كسب اي عربي الى صفوف الحركة الثورية، اذا كان مقصودا منه الارتقاء بأمتنا، ارتقاء عظيما بدورها، وتأثيرها في جهادها، او في بنائها الحضاري المجيد لدولة الوحدة العربية الكبرى، له مداخله ووسائله الاساس، وان ماذكرناه جانب منه وحسب، ولكن مجرد ذكر المداخل، او الوسائل، او المفاتيح الاساس، لايكفي لكسب مَن يُعَدُّ أو يُعِدُّ نفسه للكسب، لان ارهاصات الانسان القابل للانتماء المنظم، او الرافض والصاد عنه، غالبا ماتبنى على فرعيات وخصوصيات يتقرر فيها المصير الى حد بعيد، ذلك ان من يرفض التنظيم في توقيت وظرف معين، قد يقبله في توقيت وظرف آخر، مثلما قد يتخلى عنه من يقبل الصلة التنظيمية به في ظرف وتوقيت لاحق، ومن يرفض ان يكون ضمن صفوف البعث (على يد) فلان.. قد يقبل ذلك (على يد) غيره...

ولذلك، ايضا، فان لكل وسط خصوصيته، مع اشتراكه في مايشترك فيه مع الوسط الاعم المشترك في الامة والشعب، ففي وسط اساتذة الجامعة، مثلا، لايصلح الطالب، بوجه عام، لان يكون وسيلة الاقتراب والتأثير لكسب المدرس او الاستاذ، ولكنه يصلح كوسط مؤثر بالخواص، لتتشكل من خلال معاينة سلوك اولئك الطلاب المعروفين في انتمائهم العقائدي، ومعاينة سلوكهم واخلاقهم، لتتكون رغبة في التعرف على الوسط الاسبق في انتمائه لهذه الحركة... ولذلك، كلما كان المنظمون في صفوف الطلبة، في مراحلهم الدراسية كلها، وبخاصة في

المرحلتين الثانوية والعليا،.منضبطين، متعاونين، محبوبين من غير ضعف، جديين من غير ان يكونوا متعجرفين، يحترمون المدرس والاستاذ، طالما احترم نفسه وواجبه الاكاديمي، متفوقين، او ضمن الصفوف الوسط، بين درجات ومستويات الطلاب الدارسين، وليس في آخر حلقة، او عربة فيهم، وفي مسارهم، او ان لايكونوا من بين الكسالى والمهملين، اقول: كلما كانوا كذلك، حققوا قدرة تأثير عظيمة لصالح انتمائهم، سواء على اساتذتهم، او على زملائهم الطلاب، لذلك، فان الكسالى قد يرفهون عن زملائهم الطلاب بالنكات أو الحركات التي تجلب لهم التسلية والضحك، ولكنهم لايستقطبون اهتمام زملائهم بغير هذا، ولايصلحون لهم قادة وموجهين، ولايحظون بأحترام مدرسيهم.. وان من يشاكس المدرس قد يُضحِك، ويُسلي قسما من الطلاب بحركاته، ومشاكساته، الا ان ذلك لن يستجلب احترامهم له، ولن يكون غير الحق، فعلا وقولا، في ما هو موزون ومتوازن، اكثر تأثيرا في النفوس، واستقطابا للعقول، واستجلابا لتفاعل الضمائر، وقطبا في المواقف...

ومن الطبيعي، وكلما كان ذلك ممكنا، علينا ان نتجنب ان يكون وجه البعثي القائم بالكسب في وسط الطلاب، او الذي يهيء، بتعليقاته ومحاضراته، هذا الوسط، ليكسب فيه، دميم الخلقة، وبخاصة في وسط صفوف طلبة المرحلة الاعدادية، والصفوف الاولى من الكليات والمعاهد، بل ان نختار اصحاب الشكل المقبول، والشخصية المتزنة، والقول المؤثر...

وان ننصحه بنوع معين من اللباس...

وفي كل الاحوال، ايضاً، كلما كان ما ترتديه المدرّسة، او الاستاذ، او المدرس، محتشما، كان مؤثرا، على ان لايصحبه تزمت، او تخلّف. ومن غير دعوة كلامية للاخرين، ليحذوا حذوهم، ومن غير تسفيه لطريقة، ونوع، وشكل، ولون ما يرتديه الآخرون، والأصطدام معهم على هذا الأساس، وأنما ان ندع مظهرنا المحتشم يتكلم عن نفسه، ويؤشر للاتجاه، والطريقة، والفعل الصحيح، من غير ان نتكلم بما هو جارح، او منفّر...

وفي صفوف الاطباء، فان الاكثر علما، او الذين هم من بين المتوسطين، وليس المتأخرين في العلم، والشخصيات المتزنة، هم الاكثر تأثيرا في هذا الوسط...

وفي المعمل، فان الجدي، والدقيق، والكفوء في عمله، من غير ان يجعل (ربيبه) صاحب المعمل، وبخاصة في النضال السري، وخارج دولة البعث، هو المؤهل اكثر من غيره...

وفي النضال ضد الانظمة الجائرة، وضد نظمها الاقتصادية الفاسدة، فان من يتبنى حقوق العمال ومطاليبهم المشروعة هو الاكثر تأثيراً...

وفي وسط النساء، فان اختيار المتوسطات في المظهر والخلقة.. واللواتي لا هن دميمات، ومهملات في ترتيب انفسهن، فتقفل دونهن ابواب التواصل، ولا متبرجات مبالغات في اللبس والمظهر، فتشمئز منهن النفوس، او من بين الاكثر جمالا، بلا تواضع متوازن، او مع غرور ملحوظ، فتجعل النفوس تبتعد عنهن.. ان المتوازنات في الخواص، والمظهر، والتصرف، هن خير من نتقدم بهن للعمل في صفوف النساء، فهن الماجدات، ذوات الاخلاق والسلوك الحسن، والشخصيات المتواضعة، بلا ضعف، والقادرة على التأثير بسلوكها وكلامها على الاخريات، من غير ان يشغلن ربات البيوت عن واجباتهن اليومية، وهن يمارسن دورهن التأثيري فيهن...

وفي وسط الطالبات، فان المدرّسة المحبوبة، التي تتحلى بكل الشروط العامة والخاصة للطالبات، كل حسب عمرها، ومستوى دراستها، من المظهر، وحتى الجوهر، هي الاكثر تأثيرا من غيرها...

وأما في صفوف العسكر، بوجه عام، فان السمعة تسبق الرؤية، في الشجاعة، وحسن التصرف، والاهتمام بالغير، من غير ملق او ضعف، والتفوق في العلم والمهارة... كلها اساس قدرة العسكري على التأثير في وسطه، وتحديد مستوى ونوع ذلك التأثير...

وبين الشعراء ممن هم اشعرهم، أو ضمن اوسطهم...

وفي العمل السري، مثلما هو في العمل غير السري، فأن البعثي ينبغي ان يخطط، ويعمل ليؤثر في محيطه الاقرب تأثيرا فعالا، يضفي عليه الطابع الحي، والحركي، وان اقرب محيط له مع رفاقه هم افراد اسرته، اذا كانوا ضمن منهجه واتجاهه العام، واقرباؤه محيط قريب منه، وقد يكونون من بين محيطه الاقرب مع البعثيين، اذا ما اعتنقوا مباديء البعث، أو عملوا بما يزيدها قدرة وبهاء، حتى لو عمل من اجلها، او خدمها، كل على طريقته الخاصة، وحسب قدرته، حتى ان لم ينتموا انتماء ملتزما منضبطا في صفوف الحزب وبقوا ضمن محيطه الاقرب، والاكثر تأثيرا، او ضمن مجاله الحيوي فحسب..

وإذا مـا آمن اهل البعثي في العمـل السري، سـواء في المنهج كله، او في الموقف تجاه اهداف المرحلة، او المراحـل المتعاقبة، سيكونون له سياجا مْنيعا، وسيلعبـون دورا غير اعتيـادي كمستـودع لاسراره، ومنهـا مقتنيـات العمـل السري، ووسائله، وسيعطون تفسيرا لسلـوكه، من شـأنه ان يبعد عنه عيون الرصد، والفضوليـين، وسيكونـون له بمثابة عين رصد متقدمة ضد المخاطـر التي قد تحيطبـه، اوتـداهمـه، وعنـدمـا يطـارد من السلطـات المضـادة، سيكونون له حلقات اكثـر تأثـيرا واتساعـا داخل الـرأي العام في مجتمعه (القرية، الحي، المدينة)..

ولذلك، فمن بين اهم واجبات البعثي ان يكسب لحزبه، ومبادئه من داخل اقربائه، الى جانب معارفـه واصدقـائه مبتـدئا بـالاقرب، ذلـك لان افـراد عـائلتـه (الاب، الام، الزوجة، الاخوة والاخوات، الاولاد)، ان لم يكونوا منتمين الى اتجاهات سياسية معادية لمبادئه، لن يفشـوا سره لدى السلطـات واجهزة القمـع المضادة... ولكن عليـه في كـل الاحوال، مثلما مع الاخرين، ان يهتم بـانطباعـاتهم عنه، اولا، فعنـدما يكـون دمثا، ومتعـاونا، ويقـوم بـواجبـات ومقتضيـات الاحترام، حسب العـرف المشروع السائـد، وحسب روح مبـادىء البعث، وعنـدمـا يقوم بـواجبـاتـه البعثيـة بصورة صحيحـة، سواء كـان ابنا بـارا، اورب اسرة، او اخا ناجحا من موقعه، ان كان الاصغر، او الاكبر عمرا، او الاوسط بين اخوته... ومُجدّا في دراسته، ان كان طالبا، او في عمله، ان كان ذا عمل، فانه سيكون محبوبا من عائلته، ومحترما فيها، وسيكون، عنـدئذ، ذا تـأثيرجـدي حسن عـلى اي من افرادهـا، وهكذا عـلى محيط العـائلـة الاوسـع، او الابعد من اعمـام، او ابنـاء عم، وغـيرهم... وهـذه الخاصيـات تنطبق، كخاصيـات ايجـابيـة، عـلى البعثيين والبعثيات.

وفي كـل الاحـوال، فلـلاب، او الام، او الاخ الكبـير، ميزات وفق شروطها، التي اسلفنـاها، قـد لا تتوفـر دائماً للاخ الاصغر، او الاخت الصغـرى، وان العمر، وسمعـة التأثير الايجابي، يلعبان دورهمـا الايجابي في الـريف، او (الاحياء الشعبية) في المدينة مثلاً، بصورة اعمق، واكثـر اتساعاً، مما هي عليه في المدن الاكثر تمدنا، ولكنها، في كل الظـروف والاحوال، مؤثـرة ايجابيـاً لصالـح التفـاعـل والرضا، وعكسها قد يلعب دوراً سلبياً خطيراً في الرفض، او عدم التفاعل، مما يقتضى الانتباه اليه، ولنا في الرسـول محمد (ص) مثل وقدوة في تعامله مع عـائلته، واقـربائـه، ونتائج ذلك، واسبابـه الاساسيـة، والفرعيـة، فقد اهتم، صـلى الله عليـه وسلم، بمحيطه القـريب، وكسب من بين صفوفه اولاً، فعزز الله، سبحانه، بالمؤمنين منهم، سيـاج الدين، وأخزى من حاربه وعاداه..

ان واجب البعثي ليس ان يرصف الصفات الايجـابية الجـاهزة في الشخصيـة. وهي مجـرد صفـات عضـو في المجتمع فحسب، لتطلق عليها صفة الشخصية البعثيـة، بعـد كسبهـا الى تنظيم الحـزب، وانمـا خلق الشخصيـة الـوطنية، ومن ثم تصيـيرها شخصيـة بعثية في صفـوف حـزبنا المجـاهد، لتقـوم بدورهـا الجهادي والنضـالي في مواجهة الاعـداء، اوبناء دولـة البعث... وهي، على هـذه الحـال، ستكون مؤهلـة ليكون تـأثيرهـا جديـا وعميقا في المحيط الذي تحلُّ فيه.

ولكن عندما يكـون اختيار الشخصيـة، التي تنتظم في البعث، ابتـداء، على اسس مـوضوعيـة ومبـدئيـة، فـان اسبقيـة توفـر هذه الشروط، في من سبق بهـا غيره، تعـين البعثي كثيراً في عملية الخلق النضالية والجهـادية، عبـر مساراتهما، وتجعل هامش الخطأ في قرار الاختيار اضيق واقل.

ولكي لا نطيـل في امر، بـأستطاعـة من يكتب فيه ان لا يتـوقف عن الاسترسـال، الا بعد زمن وجهـد كبيرين، او طويلين، نكتفي بهذا، الى جانب مـا قيل، ومـا كتب، سواء منا، او من غيرنا من مناضلي البعث، ابتداء من مؤسسيه، رحمهم الله، وحتى مراحله اللاحقة، الى يومنا هذا...

والله اكبر..

والنصر لامتنا المجيدة..

صـدام حسين

في العشرين من جمادى الاولى/ ١٤١٨هـ

الموافق للثاني والعشرين من ايلول/ ١٩٩٧م